السياط

مجموعة قصصية

فيفي فاروق

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى

الكتاب : السياط

المؤلف : فيفي فاروق

تصنيف الكتاب : مجموعة قصصية

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ٢٦٢١ / ٢٠١٩

الترقيم الدولى : 2 - 838 - 776 - 977 - 978

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى زوجي شريك نجاحي وأبنائي الأعزاء، إليكم أنتم يا من كنتم سر بقائي في كل الأزمات وعلى مر السنوات المظلمة في حياتي، أنظر إليكم وأقول لنفسي: أنتم تستحقون الحياة بين ضلوعي؛ فلا بديل للرحيل إلا البقاء.

فيفي فاروق

استجمام

نسمات عليلة بعد صلاة الفجر. مشت إلى الحقل المجاور لها، تجدد طاقتها بهواء الصباح وتجلى نفسها ببعض المناظر الخلابة، وبعد أن اضناها المشي جلست تحت شجرة التوت تسترجع الماضي وأيام الطفولة البريئة، فيطوف في خيالها لعب الأطفال وجريهم بين الحقول، والعم زهير ينادى عليهم أن يبتعدوا عن حقل الفول حتى لا تتكسر عيدانه الضعيفة.

سهر تضحك وتجمع بعض حبات الفول الذي تعشق طعمه، فتأكل منه حتى تمتلئ معدتها وفي المساء تصرخ من أعراض المغص الذي ينهش أمعائها، وفجأة تشم رائحة الفطير المشلتت فواحا من فرن الخالة فاطمة، فتقوم من مكانها تساعدها في إعداده كما تعودت في الطفولة. تأكل فطيرة لذيذة بالزبد الفلاحي وعسل قصب السكر أو الجبن الفلاحي الطازج.

فرحت الخالة" فاطمة" لرؤيتها ونادت عليها أن تقرب منها بعض عيدان الحطب وقوالح الذرة وبعض قش الأرز حتى تشعلها في فرنها البلدي، فكان هذا المكان هو أصل الذكريات الطيبة حيث ذكرها بأمها -رحمة الله عليها- وهي تصحبها إلى جرن العم "زهير" والخالة "فاطمة" فيقضون اليوم هناك

وتحمل في العودة الخير الكثير أكياس من الفول الاخضر والفطير المشلتت والجبن الفلاحي واللبن الجاموسي.

كان هذا قبل سفرهم إلى القاهرة فتأخذ خزين السنة من خيرات الأرض. جلست أمام الفرن تخبز الفطيرة بنفسها كما علمتها الخالة "فاطمة" و"سهر" تنادى عليها: تعالي معي إلى الحقل نجمع الفول الأخضر كما تعودنا.

لم ترغب في الرحيل من أمام الفرن حتى بعد أن انطفأت ناره. سندت ظهرها إلى جداره وأمامها فطيرتها تغمسها وتأكلها باستمتاع؛ فقد حنت إلى هذه الأيام وصوت أمها ينادى عليها أن تجهز الأغراض وتطلب من عمها "زهير" أن يجلب لهم اللبن الطازج ويصفيه جيدا.

طافت تحلق في الحقل كفراشة ربيع تتنقل بين الأغصان ولا تحط إلا على أجمل العبير وأحلى الذكريات.

فرح

تعالت أصوات المزمار البلدي والطبل في الزفة، حول البيت وتزينت الواجهة بعناقيد النور الملونة والمناديل، وكلما سمعت الطبلة تدق دق قبلها معها فرحًا فقد كانت تنتظر هذا اليوم.

بعد أعوام كانت ترجو قربه وهي على استحياء، كلما اقترب منها ليكلمها وقعت منها الكلمات، قضت أياما وشهورا وهي تحاول أن تفهمه، ولكن عز عليها ذلك، فالتقاليد المعهودة تمنع البنت من الجلوس مع خطيبها بمفردها.

عندما يحضر تعد الأم نفسها وابنتها والأولاد فلا يخرج الأب حتى ينتظر تلك الزيارة، وعندما يدق الباب، تجري فرحة تفتح له، وتكلمه كلمتين قبل أن يدخل فيلامس كفه كفها ويدخل غرفة الجلوس ويلتف الجميع حولهما وإذا طلب كوبا من الماء تقوم هي لإحضاره، فلا مجال أن ينفرد بها للحظات، حتى تلك اللحظة التي حاول مداعباتها بأصبع قدمه من تحت المنضدة كشفتها الأم وهي تحضر المعلقة الملقاة على السجادة، محكمة الأسرة التي تخاف على بنتها.

ظلت تضحك على هذا الموقف كلما تذكرته، حضرت بنات العائلة وصديقاتها في المدرسة كي يشاركنها الفرحة

ويقرصنها في فخذها كعادة موروثة حتى يحصلونها في جمعتها كما قالت الجدة.

بالفعل كلهن على وشك الخطوبة أو الزواج، قدم العريس ليخطف عروسه إلى بيته الذي أعده وأقسم ألا تدخله أخرى قبلها ولا بعدها، فأيام الخطوبة زادته تعلقا بها والحرمان جعله شغوفا بها.

زفت إليه وسط فرحة الجميع وما إن دخلوا البيت حتى لاقت مالم تتوقعه؛ فقد كان الأهل يحلقون عليها فلا تتدخل في شئون البيت أو مشاكل الفرح التي تقحم نفسها قبل الزفاف كالعادة على أتفه الأسباب.

كانت حماتها فاتحة ذراعيها على باب البيت تحجز المارين إلا هما فقط وتقابل أهلها بمنتهى الجفاء. سرقت من عينيها الفرحة في لحظات، فصعدت هي وزوجها إلى بيتهم الجديد ولم تنطق بكلمة وهو لم يعترض على فعل أمه، وكأنما شاركها في التخطيط له، أغلق باب الشقة وبدأ يجذبها إليه بقوة، صدمتها فعلته.

لم تعرف كيف تتصرف أو تطلب منه الرفق، فانقض عليها حتى هتك عذريتها وهي لا تفهم شيئا فقد كانت تحلم بلية حب كالأفلام العربية. كلمات ثم لمسات حتى تذوب في أحضانه وتقوم في الصباح فرحة وسعيدة والحبيب يتقرب من حبيبته ويداعبها ويلاطفها ببعض القبلات الحارة.

صدمت في واقع مرير وشهوات مدفونة، خرجت تناطح السرير ومن عليه، فانطفأ النور، وتم ما كان يرجوه، في لحظة استسلام منها.

غاصت في نوم عميق بعد تلك الحرب الشرسة، لتقوم في صباحها على صوت جرس الباب وزغاريد الأهل، وقد أتوا مهنئين الزواج السعيد، لتجده نائما على كنبة الصالون، وهي ملقاة على السرير لا تستطيع أن تتناول نفسها كوب ماء.

عندما يكتمل وجه القمر

صفاء ذات الأربعين عاما، سيدة جميلة لم يحالفها الحظ في فتى أحلامها وزواج سعيد؛ فقد جربت حظها مرة ولكن لم تفلح كباقي بنات عماتها وخالاتها.

مرت بها الأيام تشبه بعضها البعض، وهي تبحث عن هذا الحلم الذي تتمنى أن يتحقق وانتظرته سنوات عمرها، فظل القمر في داخلها يبحث عن نصفه الأخر حتى طل عليه هذا العام بالفرح والسند والسعادة. به ملكت العالم وكأنه الزاد الذي به اكتمل نقص حياتها، فضحكا ومرحا معا وتسامرا ليل نهار وكان اليوم لا يكفي منه ساعاته الطويلة التي لم تشعر بها ولم تتجاوز الثواني في قربه، فقد أحبته بكل صدق، كان يعزف على أوتار قلبها كعازف ماهر، وظل يرد على مسمعها ليل نهار أشعار المحب الولهان ويردد: أحبك.

قلبها كان يطارده الخوف من الفراق فلم يدق القلب فرحا قبله ولم يطل الفرح في عمرها ساعات وباتت تحدث نفسها قلقة بعد أن ملك قلبها وتغير حاله.

تقول لنفسها: هل هذا حلم يجب أن أصحو منه أم علم؟

لا بد أن أفيق من اللاوعي الذي امتلك مشاعري وسلبني روحي. كنت المرحة التي لا يكسرها هم ولاغم. الكل ينظر لها كونها امرأة قوية ذكية يكتمل جمالها بالعقل ومع الوقت

قال لي: أعشق روحك التي لم أرها فيمن قبلك. أعشق كلماتك ونبض قلبك، سلمته قلبي كاملا، فتحول إلى مالك يطلب كل يوم نفقات الإيجار. يأمر ويتحكم في نفسي وضحكي وبكائي حتى من حولي لا يحق لي أن أحدث فلانا أو أجامل فلانة.

هو فقط وليس لي في نفسي رجاء إلا رضاه. قال لي: أنا ملكك. اشتهى أن أحملك على رأسي وأهرب من هذا العالم.

صدقته وبدأت أرسم بيني وبينه حياة، ولكن تقلباته كثيرة كلما اقتربت منه خطوة صعقت بويلات الغضب، وإعصار الانفعال على أبسط العبارات.

كان يبرر كلامه بالغيرة وتنشب بينهما الخلافات ولكن بعد كل خلاف تعود إليه. كانت تزيد تعلقا به وكأنهما خيوط عنكبوت، كلما تشابكت خيوطه صار أكثر قوة ومتانة.

صارت على هذا النحو شهورا حتى ظهرت أخرى في طريقهما. إنها سلمى بنت الثلاث والعشرين عاما. بدأ يتصرف كما تصرف معها ولا يخجل من إظهار الاهتمام أمام صفية وكلما عاتبته عن فعله ضحك وقال لها: لا يسكن قلبي سواك. وهي تصدقه، واستمر الحال بين صلح وخصام حتى اقترب فرح بنت خالها فوجدته يأمرها بعدم الذهاب، ويتحجج بأنه يخاف عليها من الناس ويغير من أولاد خالها.

لقد سمعت كلامه. أدت ما عليها من واجب قبل الفرح بأيام وقالت لبنت خالتها إنها تعتذر عن الحضور لسفر طارئ وقدمت لها هديتها مسبقا.

مرت الأم حتى ليلة الفرح كانت تسهر معه على الهاتف حتى الصباح يتبادلان الحديث الجميل الذي لا تمله حتى لو تكرر ألف مرة، فهي تعشق أنفاسه الملتهبة وعشقه لها وقبلاته الحارة التي يرسلها لها عبر وسائل الاتصال اللاسلكية.

نامت وهي سعيدة وعلى وعد أن تقضي معه اليوم في سفر ومتعه ولكن حدث مالم يكن في الحسبان، حيث فافت على اتصال منه يعتذر لانشغاله بمرض والدته فتمنت لها السلامة.

في المساء جهز من في البيت للذهاب إلى الفرح وهي تجلس في غرفتها تمثل عليهم أن بها وعكة صحية وتوعدهم إن تحسنت صحتها سوف تلاحقهم، فقد أجلت سفرها لهذا العذر المفاجئ.

بعد أن سمعت الباب يغلق أسرعت إلى هاتفها تطمئن عليه لتجده مشغولا. تغلق وتعاود الاتصال، أكثر من مرة.

فينفتح الخط على صوت زفة فرح، وزغاريد ثم يغلق نهائيا.

أنا وهي

دخل عليّ البيت، وفي يده أخرى وعندما سألته عنها قال: هي زوجتي الثانية. قالها بمنتهى الهدوء فانفعلت وغبت عن الوعي لأفيق على كابوس كل يوم أتمنى أن ينتهي.

بعد أيام وجدت منها حسن المعاملة فأحببت ضُرتي أكتر من زوجي نفسه؛ فلم أجد منها إلا كل خلق وذوق ورحمة في المعاملة. كانت أقرب لي من أختي بنت أمي، رغم أنه تزوجها علي.

كان يقصد كسر خاطري بها، إلا أنها ومع طوال عِشرة السنين أصبحت أختا وصديقة، فكم من مرة، غلطت فيها بحكم غيرتي كأنثى تغير على زوجها كما تربينا وشاهدنا من قبلنا، وصبرت عليّ.

فالزوجة تحب أن ترى لزوجها جنازة قبل أن ترى له "جوازه"، أذيتها كثيرا، وكانت تغفر وتعذرني وتسامح لكي تعيش.

بعد فترة لم أجد أمامي مفرا إلا أن أرضى بالأمر الواقع وأعيش أنا الأخرى. قلت لنفسي: هذا أمر ربنا لا مفر منه.

ومع الوقت بقينا أصحابا، لكن لم يستمر الأمر كثيرا فلم ألبث أن أرد لها جزءا بسيطا من معاملاتها الحلوة لي.

فقد أصبت باللعين. وقل وزني، سقط شعري كله. زوجي بقي يقرف مني ويعاملني أسوأ معاملة حتى قرر أن يطلقني ويرميني في الشارع.

كانت المفاجأة لما قالت له: "قبل أن تطلقها تطلقني قبلها. لا أستطيع العيش من غيرها".

مرت خمس سنوات، في تلك المحنه القاسية. لم تقصر في حقي وحق أولادي للحظات وكانت "شيلاني من ع الأرض شيل، عمرها ما كشرت ف وشي، تطبخ وتغسل وتنضف. كانت بتبديني على نفسها في الأكل والشرب وتقولي: إن شاء الله سوف تشفين. فكانت تقويني، حتى تم الشفاء من عند الله".

قرر زوجي أن يبلينا بالثالثة حتى يكسر عزيمتنا فكان أمر الله. ماتت قبل أن أرد لها جزء من جميلها معي، فأصبحت أدين لأولادها بعمري الذي وهبته لي أمهم بعد الله.

يوميات ميت

كان يوما صعبا، كله ضغوط من المنزل والعمل والأولاد. كل شيء، والواضح أنى أنا السبب كالعادة فقد زاد الحمل على ولم أجد البديل للراحة، فلم يحن للجميع أن يتحمل مسئولية نفسه.

في العادة أحب أن أتحمل المسئولية عنهم بل وأشغل نفسي بكل تفاصيل حياتهم وهم لا يشعرون بشيء، فكرت أن أتقمص دور الميتة في حياتهم وأراقب من بعيد كيف ستكون حياتهم من دوني، سيحزنون قليلا، قد يعاني الكبير في البحث عن فردة جرابه البني أو القميص الأزرق من على حبل الغسيل.

لن يشغلني شيء بعد الآن، حتى صديقتي لو اتصلت عليّ أن أحجز لها الدورة التي اتفقنا أن نحضرها سويا. لن أرد، وعندما يأتي الصباح في أثناء ذهابي إلى المدرسة لن أحجز كرسيا بجواري لها كما تعودت.

حان الوقت أن تعتمد على نفسها، وغداؤنا اليوم على فيض الكريم فماذا سيفعلون بميت لم يذهب إلى السوق لإحضار مستلزمات البيت؟

ودروس الأولاد أيضا، اليوم لن أذكر لأحد. كل يعتمد على نفسه، فأنا ميتة، لن أشغل بالى بكل تلك التفاهات من الآن.

دخلت البيت ووجدتهم يجلسون أمام التلفاز فدخلت إلى غرفتي، ونمت فلم يوقظني أحد. أفقت على رائحة الطعام تملأ أنفي والجوع يقرص بطني.

لم لا ينادى عليّ أحد للأكل؟ سأذهب وآكل معهم فقد أطعمتهم طيلة حياتي سأجلس بجوار يوسف ابني الصغير حتى لو احتاج مساعده ألبيها له.

أجلس الآن بين أحمد ويوسف. لماذا لا يفسحان لي مكانا؟

بسم الله، الأكل يتحرك أمامي بينهم، ولا أحد يعزم عليّ. سأكل تلك القطعة الكبيرة وحدي ولن أقتسمها مع أحد.

قبل أن تصل يدي إليها أخذها أحمد وقسمها مع يوسف. الحمد لله، قام الجميع وتركوني وحيدة على المنضدة.

لن أنظفها فأنا غاضبة منهم ولكن محمد قام بذلك بنفسه دون أن يطلب منه أحد. لن أصنع لكم الحلوى هذا المساء ولا حتى الفطور في الصباح. أنتم لم تتأثروا بغيابي لن أعود.

فتون

ذات الستين عاما أو أكثر بقليل، جلست بجواري على الكرسي الخشبي على كورنيش النيل. خطفني شكلها الجميل ولبسها المتناسق واهتمامها بنفسها في هذا العمر.

لم تشك لي ولم استدرجها في الكلام. طلبت أن تشاركني المقعد وأنا أذنت لها أن تشاركني. فانساب الحوار بيننا، كأننا نعرف بعضنا البعض منذ أعوام.

كان السؤال المعتاد: كم معك من الأبناء؟

قالت: كان عندي توأم ومات، خرس لساني في لحظة. بعد قليل قلت: الله يرحمهم ويصبرك على فراقهم.

سيدة في هذا العمر كانت تعمل في التربية والتعليم وخرجت بعد أن قضت مدتها بسلام.

"فتون" امرأة تخطت الستين بأعوام ولكن من ينظر إليها يجدها لا تتعدى العقد الرابع من العمر. مرت بها الأيام قاسية بعد وفاة أبنائها التوأم فتأزمت العلاقة بيها وبين زوجها، خاصة عندما قرر السفر إلى الجمهورية العربية الليبية.

رفضت أن ترافقه فيسافر هو على أمل أن تلحق به ولكن بعد سفره بشهور شعرت بألم في معدتها، ذهبت إلى الطبيب

الخاص بالعائلة وأثناء انتظارها الكشف تجد زوجها المسافر في انتظار زوجته الثانية عند نفس الطبيب.

كانت الصدمة التي كسرت تلك القشة التي كانت تربطهما معا. طلبت الطلاق ومع إصرارها وافق وهو على مضض. بعدها سعت في الإعارة إلى المملكة العربية السعودية وكان في رفقتها أبوها الذي توفي بعد عام، ليغير مصير حياتها من المملكة العربية السعودية إلى اليمن.

عاشت هناك ثلاثة أعوام حصلت فيها المزيد من المال ورجعت إلى أرض الوطن وقد أمنت مستقبلها ببعض الأوراق المالية، واشترت لنفسها شقة وكلما طلب منها زوجها العودة كانت ترفض وكرامتها فوق حبها.

لم تنس جرحه لها وهو لم يستسلم أو يمل الكلام حتى فارق الحياة ولتنتهي بها الدنيا بين أربعة جدران في شقة لا يطرق بابها إلا بعض أبناء أختها بين الحين والحين.

تلك المرأة ذات الستين لم تستسلم للوحدة بل شغلت نفسها وجعلت لنفسها نظاما خاصا في العلاقات وبرنامج منظم بين المكتبة والحديقة ودار المسنين. ودت أن أقبل رأسها قبل أن أرحل.

قرار صعب

كان أصعب يوم مررت به في حياتي. مع حجم الفرحة التي شعرت بها ونصرة المظلوم إلا أنني لا أعرف ماذا أفعل بعد ذلك؟

أنتقم منهم، ومن أيام أذاقوني مرها أم أتركهم في حالهم، وأرحل دون سلام. أغلقت الهاتف طيلة اليوم أفكر في أمرهم، فقد مرت شهور وأنا تحت ضغوط كثيرة و. س. ج.

لم أرتكب ذنبا أحاسب عليه كمسئولة، لكنني ارتكبت حماقة وكان المفروض أن أحاسب عليها كقلب أم.

عندما طلبني ابني في ساعة متأخرة من الليل وقال لي: هناك منزل سقط في الطريق وهناك مصابون وقتلي.

وانقطع الاتصال، حاولت جاهده أن أصل إليه لأطمئن عليه ومن معه. لم أنجح في الاتصال أو الاطمئنان وقلبي يعلم جيداً طيش الشباب وتهور ابنها في تلك الحالة.

نعم، أعلم. فقد تذكرت أنني تركت قريتي خشية عليهم من نداء حريق في منتصف الليل وطلب الإغاثة. يفرون مني بلباس نومهم، يلقون بأنفسهم في الحريق حتى يخمدوا ناره. وأنا أقف في شرفة المنزل أدعو ربى لهم ولرفقائهم بالسلامة.

أذكر يوم شب شجار في الشارع وخرج علينا جار بسلاح أبيض. الشارع امتلأ بالناس والصراخ في الشرفات وأولادي لم يخالفوا طباعهم في تلك الحالة.

لم يكونوا بين المتشاجرين حتى يفضوا النزاع وقلبي ينزف قلقا ورعبا عليهم، فهذا طبع الشباب في العشرين. أحدث نفسي وأشتكي إليها ظلم السنين: كيف لمسئول أن يحاسب أما قلقت على ابنها وكتب على حائطها الإلكتروني: أغيثونا، وطمئنوا قلب أم ملهوف.

استغل ماكر هذه العبارة عندما علمت في الصباح أنها كانت كاذبة. أشار بها إلى المسئولين فكبر حجم المصيبة، واستغل ضعفي وانقسم العالم إلى شطرين. شطر معي وشطر يستغل موقفي للتقرب إلى من يعلوهم.

جاءت الصدمة كبيرة عندما علمت أن الكلام المعسول والعهود الرنانة ما هي إلا سراب في صحراء جدباء وكلما اشتدت المحنة ظهر لي كل ما خفي من وجوه تجملت بالحب والإخاء لينقشع كل هذا في يوم صعب كهذا.

هبة الله

مالت عليّ أمي ذات مساء وهي تسامرني وقالت: قولي لخالك أن يتزوج من صديقتك "سهام"، فربما يقبل بها ونكسب فيها ثواب؛ فهي يتيمة الأم والأب. نظرت إليها باندهاش. هي التي لا تقبل أن تتدخل في مثل هذه الأمور كيف تورطني فيها؟

لكن كان مبررها قويا وبالفعل تحدثت إلى أخيها الذي كان قريباً منى جدا، يستمع إلى مشورتي، فليس بيننا سوى خمسة أعوام. كنا نلعب معا ونحن صغار ولكنه كان يصر أن أناديه بالخال فيفرح ويتباهى أمام رفاقه في المدرسة، وعندما كبرت، كان يحكي لي عن مغامراته العاطفية وعن أحلامه وهو يساعدني في استذكار دروسي حتى وأنا في الثانوية العامة، ولكن الأن، أنا أكبر منه اجتماعيا؛ فقد تزوجت منذ ستة أعوام، وعندي ولدان، وهو ما زال يبحث عن شريكة لحياته، كان لي أسلوبي في الإقناع فلم يتردد عندما عددت له محاسنها وأخلاقها وذوقها فأنا أعلم جيدًا طلباته في شريكة حياته.

تمت على بركة الله وكانت المفاجأة؛ ففي يوم وليلة أصبحت أم العريس وأم العروس كلما حدث خلاف بينهما أكون على

أتم الاستعداد للضبط والإحضار ولا أحد منهم يعلم أنى كنت سببا ليس إلا.

مرت الأيام وأنجبت ثلاثة أطفال واستقر بهم الحال وتغيرت أحوالهم إلى الأحسن قليلا وفجأة والباب يطرق وتدفع سهام الباب وهي منهارة وأنا أحاول أن أهدئ من ثورتها.

تعاتبني على سوء الاختيار، وبعد لحظات هدأت وبدأت تقص على سبب الخلاف هذه المرة وتفاجئني بحملها للمرة الرابعة وإصرار زوجها على الإجهاض أو الطلاق وهي في الشهر الرابع، وهذا يمثل خطرا عليها.

وتخاف من الله وعلى نفسها، فاتصلت به أن يحضر في الحال وكان أول كلام له: هي ذكرت لك سبب الخلاف؟

قلت: نعم.

قال: أنا ربنا رزقني بالولد والبنات ولا أقوى على الإنفاق على رابع.

قلت له: سأحضر لك مظروفا به عشرة ألاف جنيها، ما رأيك؟ هو هدية لك.

فنظر لي باستغراب وقال: لم قلت هو هدية؟ هل ترفض الهدية؟

فتهلل وجهه فرحًا وقال: لا لكن أحب أن أفهم.

قلت له: ربنا بعت لك هدية مثلها وأنت رافض أن تقبلها منه، فما بالك بعطاء الله الذي ترفضه؟ لعله يكون سببا في إدخال السعادة والرزق إلى دارك؟

ضحك وقال: غلبتني هذه المرة.

تمر الأيام سريعاً وتضع سهام طفلتها الرابعة، جميلة حسناء، وأذهب بعد أيام قليلة لمباركتها لأجد الأب الرافض لها يداعبها، ويحملها بين ذراعيه كطفلة في عمر سنة، فنظرت إليهما وانصرفت.

الحرمان

سارت تتحرك في الغرفة هنا وهناك، تنظر إلى الجدران وتعود إلى نقطة البداية، تشرد بعقلها للحظات، وتعود إلى وعيها، تأخذ نفسا عميقا وتعقد حاجبيها، وتعض على شفتيها ثم تخبط الحائط بيديها، تبحث عن مخرج من تلك الورطة التي غرست نفسها فيها دون تدبير.

تزوجت من ذلك العجوز الذي يكبرها بخمسة وعشرين عاما وهي تبحث عن حياة في غفلة من الزمن. كانت تريد أن تعيش حياة الرفاهية وتهرب من الحرمان الذي أكل من لحمها طبقات.

في لحظة اشتهت ثوبا جديدا ومنزلا يحتويها ودفء وجبة ساخنة في برد الشتاء وحذاء جديدا عوضا عن الذي بلي مع أيامها. طرق الباب وقدم العرض وقبل الطلب فلم يكن هناك مفر من الفقر إلا حضن هذا الغنى العجوز.

قدمت التنازلات، وهو قدم المقابل بسخاء فوافقت أن تعيش، وتتنازل عن بعض حقوقها كزوجة وما حدث بعد ذلك هو أن طرق باب قلبها ذلك الشاب الذي يصغرها بأعوام عشر. تعرف عليها في النادي ظل يلاحقها لشهور وهي ترفضه ولكن إصراره عليها أضعف رغبتها في المقاومة، فأصبحت تتنظر كلامه المعسول والذي تعودت أذنيها عليه مع الوقت

والأكثر من ذلك اهتمامه بتفاصيل يومها وحرصه على مشاركتها كل لحظاتها الجميلة حتى تعودت عليه وحدث مالم تكن تتوقعه. عندما ذهبت إلى زيارة والدتها الأسبوعية فقد اتفقت أن تقضي معه الليلة في ضوء القمر حتى الصباح.

تجاذبا أطراف الكلام والعبارات الجميلة وتقرب منها أكثر مما يجب، فوضعت رأسها على كتفه وهي تشعر بالاطمئنان، فخانهما الإحساس حتى وقعا في المحظور.

وكان ثالثهما الشيطان في شقته فوجدت ما تفقده حتى تعودت على اللقاء الأسبوعي في غفلة من الجميع، وبدأت تتذمر من عيشتها وتطلب الطلاق وكلما تودد إليها العجوز بالهدايا رفضت، وتمردت عليه.

لم يستسلم لرغبتها حتى ذلك اليوم الذي فوجئ بحملها في شهرها السادس وهو لم يعاشرها من أعوام، فضغط عليها حتى اعترفت بفعلتها، ولكنه لم يتحمل الصدمة فنام وهو مشغول التفكير وضغطه قد ارتفع.

لم يطلع عليه النهار. أغلقت عليه غرفته، وظلت طوال الليل تفكر وتضرب أخماسا في أسداس.

ماذا ستخبر ابناءها في الصباح. كيف تواجههم بفعلتها؟!

المزرعة

الجسد يضمر ويضعف ولا يقوى على الحركة أو المجهود البسيط ولا يعرف السبب، يتوجه إلى الطبيب في القرية، ويطلب منه عمل مجموعة من التحاليل الطبية للاطمئنان على وظائف الكبد والكلى وغيرها.

عندما جاءت التحاليل كانت مفاجأة له لم يكن فيها ما يقلق، مجرد فقر دم بسيط، يعالج بالحقن في أيام قليلة مع الالتزام بنظام غذائي جيد، وهو لحرصه الزائد على نفسه، يتابع توصيات الطبيب بعناية، فلا يخالف ميعاد دواء أو يقصر في وجبة.

تمر الأيام والحالة تزداد سوءا والجسد يضعف والجلد يلتصق باللحم وهو في ذهول من نفسه فأصبح يسأل من حوله، عسى أهل الخبرة يدلونه على شيء، وكان يجلس على القهوة كعادته ويشكو للأصدقاء حالته وهو يشرب معهم كرسي المعسل المعتاد مع كوب الشاي.

أثناء سعاله نصحه أحد أصدقائه أن يذهب إلى طبيب صدر بالمدينة فلم يكذب خبرا، طلب منه أن يوصله إليه في طريقه، وحجز للكشف وفي أثناء الانتظار، صار باله مشغولا ن فلم يبلغ أهله أنه عند الطبيب.

يراجع نفسه سريعا. لا داعي أن أشغل بالهم بهذه الأمور الآن، وحان دوره ودخل إلى الطبيب الذي طلب عمل إشاعة بعد عمل بعض الفحوصات، وقال له إنه يعاني من بعض الالتهابات على الرئة.

ونبه عليه بضرورة الحجز الآن في المستشفى وآثار اهتمامه بعض أسئلة الطبيب: هل تعاني هذه الحالة منذ فترة؟ هل عندك أطفال؟ وهل وهل؟ ثم قال له: لا تقلق. أحتاجك تحت الملاحظة معي لأيام.

دارت في رأسه مخاوف من أن يكون قد أصيب بالمرض اللعين الذي سرق منه أمه وأخاه الكبير وأخته.

هنا بدأ القلق يعلو وجهه حيث لم يسبق له الحجز في مستشفى من قبل ولم يخبر أهل بيته بمقصده ولكن صديقة طمأن قلبه وقال له: لا تقلق. أنا معك.

وذهب معه إلى مستشفى الصدر بالمدينة التي استقبلته بكل رحمة، منذ دخوله الباب حتى باب حجرته وهو في ريبة من أمرهم.

لاحظ صديقه كل هذا ولم يصدر أي رد فعل يقلقه بل انتظر حتى أنهى كل شيء ورجع إلى طبيب المستشفى ليطمئن من مخاوفه. أهو ذلك اللعين أم شيء غيره فوجد الطبيب يخبره أنها أعراضه. لن يجزم بها إلا بعد عمل المزرعة وتحليل البصاق.

أوراق الربيع

حسين شاب في الثلاثين من عمره من عائلة بسيطة أتم تعليمة بتفوق والتحق بوظيفة محاسب في إحدى الشركات الخاصة التي تعطى موظفيها نسبة من المشاريع بجانب أجرهم الشهري، فكون نفسه بنفسه دون مساعدة أحد من أهله، تعرف على ليلي منذ نعومة اظافرها فهي بنت الجيران التي كانت تلعب مع أطفال الحارة تحت عينه وتذهب إلى المدرسة المجاورة للمنزل فليس لها صديقات ولا علاقة بأحد من زملائها، ربطتهم علاقة حب قوية؛ فهي تخاف على مشاعره لأقصى درجة وتسمع كلامه في كل صغيرة وكبيرة حتى تلك الخصلة من شعرها الذى يحبها لا تقوى على قرب المقص منها إلا بإذنه، فهو يحب الشعر الطويل فجعل منها أميرة أحلامه صنع يده.

بعد كل تلك الأعوام أتم الله عليهم الفرحة وتزوجها فعاشا في استقرار وأنجبوا ثلاث بنات في ثلاثة أعوام إلا أن أمر الله نفذ منها وهى تلد البنت الثالثة، فشعر بالعجز؛ كيف له أن يربي ثلاث بنات بمفرده فألح عليه أصدقاؤه بالزواج من أخرى، وبعد معاناه وجدها مطلقة لم تنجب فكانت بالنسبة له فرصة، ولكنها رفضت ان ترتبط به بسبب بناته الثلاثة إلا إذا كتب لها الشقة

وأمام إصرارها وقلة حيلته وافق ومرت خمسة سنوات لتنجب هي الأخرى ولدا وبنتا فتكتمل سعادته أن أولاده قد رزقوا بأخوة يتربوا معهم، ومع هذا الحمل الثقيل كان يطبق الليل في النهار ليوفر لهم عيشة كريمة وهو مطمئن على بناته مع زوجة، فسلمها مرتبه الشهري وكل دخله حتى تقوم بواجبها دون تقصير، ولكن مع الوقت قصرت في كل شيء حتى نظافة البيت فعذرها لكثرة الأعباء عليها حتى ذلك اليوم الذى أصيب فيه بوعكة صحية بعد أن تناول طعام الفطور في المكتب فأذن له مديره أن يذهب إلى منزله ليستريح، وعندما فتح باب الشقة وجد بناته الثلاثة يبكون في صالة المنزل وعندما سألهم عن سبب البكاء أبوا أن ينطقوا بحرف ولزموا السكوت، ولكن مع إصراره وغياب الزوجة عن المنزل، خضع الأطفال لرغبة أبيهم وحكوا له سر بكائهم: أنهم لم يأكلوا من الأمس وأن زوجة أبيهم ترفض أن تقدم لهم الطعام وإذا ألحوا في الطلب توجهت إلى المطبخ تسخن السكين؛ حتى تهددهم أنها سوف تكوي جلودهم به إذا لم يسمعوا كلامها، وأنها تنشغل بأطفالها طوال اليوم وتأمرهم بتنظيف المنزل والنوم مبكراً قبل أن يصل من عمله، فلبي طلباتهم ثم جلس في ركن بعيد على كرسيه الهزاز وعينه معلقة على ساعة الحائط تتابع عقارب الساعة...

قبلة الوداع

وقفت أمام المرآة تتجمل كعادتها وتنظر إلى مفاتنها التي يهواها الرجال، وكلما نظرها رجل عجز على الرحيل وتعلق بها مهما حاولت أن تبعده عنها يرمي تحت أقدامها العطايا والهدايا الباهظة رغبة في لمس يدها او التلذذ بقبلة طويلة من شفاها المرسومة بدقة، ولكن هيهات بين هؤلاء وبين لمسها أو التقرب منها إلا في أحلام اليقظة، فكبرياؤها يحجب الناظرين.

مررت إصبعها على شفتها السفلى وعضت عليه وهي تتندم على حالها وحظها العسر بهذا الرجل الذي يكبرها وبسنوات ولا يلبي احتياجاتها الواجبة، وكل ما يفلح فيه هو الظهور والزهو في المناسبات فتتعالى ضحكاته مع كل صفقة يعقدها مستغلا حسنها، يتاجر بها ويقبض الثمن، ولكنها ملت تلك العيشة؛ فهي تعرف كيف تعقد الصفقات بدونه ولا تحتاج إلى وسيط.

سمعت صوته على باب الشقة أسرعت إلى فراشها تدعى النوم العميق حتى لا يوقظها ببعض الأعذار الواهية، وهل عليها الصباح ولم تتحرك من مكانها، ظلت تفكر في طريقة تخلص من وجوده دون أن تخسر ثروته وممتلكاته؛ فهي وريثته الوحيدة بعد أن فر من بلدته في صعيد مصر خشية

الثأر وغير كل بياناته ليولد من جديد على يد عمها الموظف الكبير في المحافظة، عندما لوح له بآلاف الجنيهات أتم الصفقة وألقى بها فوق البيعة حتى يتخلص منها ومن عناء الإنفاق عليها بعد وفاة والدها وهى في ريعان شبابها، فأقامت معه في شقته وزوجته وأولاده لسنوات تعلمت فيها ألاعيب شيحة وأتمت تعليمها على يد زوجها، هنا نفضت من سريرها تستعد أن تذهب إلى الكوافير؛ حتى تستعد لحفلتها الليلة بمناسبة عيد زواجها العاشر، وفي طريقها خطر ببالها فكرة أرادت أن تنفذها في المساء: فدخلت الصيدلية المجاورة لمحل الزينة تشتري إصبعا من أحمر الشفاه ومعه طلبها حتى تتخلص من ذلك الجرز الذى يورق حياتها.

وعندما عادت كان كل شيء معد بإتقان؛ فقد اتفقت مع مكتب لتجهيز الحفلات. صعدت تستعد، فوضعت شريطا لاصقا على شفتيها ودهنتها بذلك الشيء الذي أحضرته من الصيدلية ثم غطتها بأحمر الشفاه.

إن فاتك الميري

بعد فترة طويلة من التخرج والتعود على الحياة البسيطة التي لا تلزمك بمواعيد صحيان مبكر ولا بمسئوليات لها طابع حاد قد تحولك إلى محاكمة إدارية وخلافه.

كانت عيشة هنيئة أشاهد التلفاز وقتما أشاء وأسهر كما يحلو لي، وأقوم بأعمال النهار في الليل؛ لألبي طلب جسمي في النوم والأنتخة طيلة اليوم أو بعد آذان الظهر بدقائق أو ساعة.

تخرجت ونسيت سبب الحصول على الشهادة مع الوقت؛ فقد مر عليّ أربعة عشر عامًا بعيدة عن الميري حتى طلبت منى أمي أن ألتحق به خشية الاحتياج وكل غرضها أن أحصل على معاش شهري في كبري يكفيني مر السؤال حتى من أقرب الأحباب.

مع الوقت أقنعتني وكان لي مشروعي الخاص الذي يكفيني ويلبي كل احتياجاتي كملكة كل طلباتها سهلة المنال، ولكنها اصرت على الالتحاق بالعمل كمدرسة في التربية والتعليم رغبة في قلبها منذ سنين أن تشعر بقيمة تربيتها وتعليمها لي؛ فلم تكن متعلمة تعليما عاليا ولا حتى متوسطا.

ولكن اسمي لم يظهر في الكشوف التي نزلت بأسماء المعينين إلا أنى اعتبرتها حربا ووجب عليّ الحصول على حقي أسوة بزملائي، فتوجهت إلى شئون العاملين بالمديرية

ليوجهني إلى القوي العاملة ثم إلى المحافظة كل هذا في أقل من ساعتين كنت قد مررت بثلاث هيئات إدارية وتنفيذية وأنا كل تركيزي أن أعود إلى أمي بورقة تثبت لها أني قد حققت رغبتها، فوجدتني أمام باب المحافظ ورجل عسكري ذو رتبة عالية يسألني: ماذا تريدين. فرددت: أريد أن أقابل المحافظ. فسألني: لماذا؟ سردت له ما حدث وأنى لم أجد اسمي في الكشوف، فقال: هل قدمت أوراقا للحصول على الوظيفة وسقط اسمك سهوا؟ قلت: لا، ولكن أريد أن ألتحق بها أسوة بأبناء دفعتي فجميعهم قد تم تعينهم اليوم.

فابتسم وقال: اكتبي تظلما، وسوف ازكيه للمحافظ. قلت له: لن أرحل من هنا إلا بالموافقة على طلبي، وأخذتني الحماسة فرفعت يدي وأنا اتحدث فخبطت صدره فتحولت إلى كائن أليف ورحلت على أمل أن يفي بالوعد.

الذبيحة

وقفت في زاوية بعيدة وهي مذعورة تشاهدهم وهم يسحبونها بشدة من رقبتها؛ فاليوم عيد الاضحى المبارك، والأسرة جميعها هنا ليشاهدوا مراسم ذبح الضحية، أما هي فأول مرة تحضرها في حياتها.

كانت في زيارة لأحد أقاربها في القرية المجاورة للمدينة التي تقطن فيها من أعوام، أرادت أن تقضى يوما مع قرينتها سعاد في بيت أبيها الكبير في القرية، لم تكن تعلم أنها ستشاهد هذا المنظر فلم يحدث أن حضرت ذبح دجاجة، ولكن كل ما تتذكره منظره وهو ينظر لها بعينين واسعتين ويقول لها: إن فعلت ذلك سأذبحك، كانت كلمته المعهودة كلما أراد أن ينهاها عن فعل شيء ما، أقدم الجزار على سن السكين وهي ترتعد من الخوف فاقتربت منها رفيقتها تسألها ما بها، فلم تنطق بكلمة وسعاد تضحك على منظرها كي تخفف عنها وتقول: انظري إلى هؤلاء الأطفال، أنهم يلهون ويلعبون مع البقرة، وإلى هؤلاء الفقراء وفرحتهم بقطعة اللحم التي سيحصلون عليها بعد التضحية، ولكن هي لم تجد ردا مناسبا لكلامها وعيناها جاحظتان ترقب السكين وهي تمشي على رقبة البقرة، وإذا بالجزار يقول: الله أكبر. فيندفع الدم من رقبة البقرة، لتخر هي بجسدها على الأرض مغشيا عليها.

اللعين

تسلل إلى قريتنا في ليلة شديدة الظلام، كان أهل القرية سعداء يقضون معظم أوقاتهم في العمل بالزراعة والمهن البسيطة وفي المساء يتسامرون على أضواء المصابيح في المقاهي المصنوعة من الجريد والغاب.

كل شيء بسيط حولنا: البيوت مصنوعة من الطوب اللبني والطين، حتى تلك المرأة لا تجد ما يشغلها غير أبنائها الصغار وجارتها ورفيقتها في حمل الجرار الممتلئة بالماء،

الضحكة كانت ترتسم على الوجه ولا أحد يحمل الهم؛ فالكل راض بما قسم الله له.

وفي يوم وليلة دخلت الكهرباء وخطوط الماء إلى الماء، فهجم التطور كل البيوت من حولنا لتصبح أدوارا من أسمنت وحديد، وبعدت المسافات بين الجيران وافترق الأهل والأحباب، فجاء هو كزائر ثقيل تسلل إلى كبد أمي حتى أنهكه وعصره حتى جف جلدها والتصق بعظمها فماتت على فراشها، وبالأمس زار بيت جدتي وخالي ولم يترك فيهم رمقا، واليوم طرق باب سالم فلم يسلم من أذاه رغم أنه مسالم معظم الوقت ويخشى الاختلاط ويحافظ على نفسه وصحته طول حياته؛ لم تلمس شفتاه عقب سيجارة ولم يشرب من الماء ما يسكر، اليوم جري في جسده مجرى

الدماء في العروق. نظرت إليه وأنا اتحسر على حال أبنائه الأربعة لا زالوا في عمر الزهور، لم يسعد بزواج أحدهم ولم يصبر عليه اللعين حتى يلمس أصابع حفيد صغير. تحولت القرية إلى غابة جرداء هرب منها الماء وهربت الدماء من الوجوه؛ كل يوم نشيع جنازة، واللعين يفرض نفسه على الجميع.

دخلت الحرم بعد عناء يوم شاق في الطريق؛ فقد قطعت ست مائة كيلو متر بالسيارة الخاصة.

الجو شديد الحرارة؛ إنه شهر أغسطس. عندما وطأة قدمي أرض الحرم، شعرت براحة من نوع خاص غلبت كل سنوات عمري وكأن لي عند ربي رجاء وأمنية أن يلمس وجهي الحجر الأسود وأقبله وأهمس لربي بدعاء لأخي الذي شرد عنا، في أخر عهدنا به تبدلت أحواله فأصبحنا له أعداء دون سبب بعد أن كنا لا نفترق إلا للنوم.

كنت تحت ضغط نفسي رهيب، طرقت جميع الأبواب أنا وأمي وكانت تؤلمني نظرات أمي الحزينة وهي تترجي وصاله بعد أن كان يعاملها كتاج على رأسه، لم يكلف نفسه باتصال حتى يطمئن عليها في آخر أيامها، كانت تبكي بالساعات وباقي الساعات تناجى الله أن ينير له بصيرته ويرده إليها ويبرد قلبها الذي أكلته نار الشوق.

أسرعت إلى الكعبة أطوف وقد رعاني الله برعايته فأحاطني بلحمي ودمي؛ كنت محصنة بأولادي، وزوجي ينظر إلي ويقول لي: لن تستطيعي، ولكن ثقتي في ربي وإصراري على الوصل لتحقيق أمنيتي كان غالبا. في نهاية الطوفة الثانية أجدني ملتصقة بالحجر الأسود ووجهي يلمسه

بحرارة، فأهم لربي وأناجيه مناجاة أمي بعد أن رحلت عنا بعام، لم أنس كلماتها، ما زالت تتردد في داخلي وأنفاسها الملتهبة تتقمص جسدي، أتمت الطواف وذهبت بين الصفا والمروة للسعي وكلي أمل في الله أن يقبلني ويقبل دعائي. إحساس صعب بالغربة في بلدك وأنت وسط أهلك، ولما سافرت كان الإحساس أكبر وأنا وسط إخوتي وكل واحد في دنيا ثانية، مرت أيام بدأ يقرب مني ويتكلم وأنا أسمع فقط وهو لا يتقبل أن أرد كلامه، يوم والثاني بدأ هو يسمع وأنا أبرر ومر العام علينا بسلام، ولا زال دعائي لم يستجب لكن كانت ثقتي في الله كبيرة. وفي يوم كنا قاعدين نعاتب بعضنا قال لي: أتقدرين على جمعنا مثل أمنا زمان، أخذتني الحماسة وقلت: أه.

لكن كان الأمر صعبا؛ لأن الفجوة بينه وبين أختي أصبحت كبيرة، حاولت لكن دون جدوى حتى يوم العيد الكبير.

أحضر عجلا كبيرا للأضحية وهي كذلك، فكان لازما عليّ أن أحضر للاثنين معا، فأصبح الأمر مستحيلاً إلى أن جاء أمر الله فحدثت مشكلة مع أختي؛ أثناء الذبح لم يستطع أحد غيره أن يحلها وكان ذلك بناء على طلب منى،

واكتملت الخطة عندما طلبت منها أن تحضر إلى شقة أمي وهي تعاند وأنا أصر على الطلب لتحضر ضحية أخي ونجتمع جميعاً على فرحة عهدناها في حضور أمي

-رحمة الله عليها-.

السياط

علامات السياط على جسدي الضعيف على أهون الأسباب، فلا مكان للنقاش أو الجدال، يأمر بهذا السوط وينهي به؛ فقد تعود استعماله مع حصانه "رهوان"، يمتطيه وقتما شاء، يطعمه السكر بيديه كلما أراد، وإذا غصب عليه أغلق الإسطبل وألهبه أسواطًا لاذعة تدمي جلده، ثم يصالحه في الصباح بقطعة السكر، وإذا أزاح يده غاضبا شده من لجامه ليجبره على أكلها.

ببساطة أنا ورهوان رفقاء الدرب مع هذا الذي يسمى زوجي، قضيت الليلة أتحرك على السرير وأتمرغ فيه من شدة الألم، وصوت شخيره يعلم السارق أن البيت أمان، ولكن هل جن في عقله أن يقتحم بيتنا؛ ويله لو أمسك به، الكل في البلدة يخشاه ويتجنبه بحلوه ومره وجبروته.

لم أنس ذلك اليوم الذي كان يمتطي فيه "رهوان" ويجوب القرية يتباهى بشبابه وسلطته، وعندما وقعت عينه عليّ وأنا أقف على باب الدار، أشار إلى بإصبعه، فلم أتحرك، فدفعتني أمي من الخلف تأمرني أن ألبي إشارته. وفي الصباح التالي سحبني أبي إليه بعد أن طلب منه عمدة البلد أن أعمل لديه خادمة تلبي طلباته، وعندما رفضت بكى أبي بشدة وقال: أريد أن أربي إخوتك الصغار، فعقدت ذيل الملس بجلباب

أبي المترهل، وذهبنا نقابل البيه في قصره عند أطراف القرية، ومن يومها لم أر النور إلا من خلال تلك النافذة الصغيرة، سكنت الظلام حتى أمري لا يعلمه الناس ولا أجرؤ أن أخبر أهلي بما أخبرته به اليوم، وشكي بحمل قد يكون غزى رحمي في غفلة مني ومنه فلم ينطق بكلمه وأكمل حواره بالسياط.

ابتلاء

هي تلك البنت التي تخشى الآخر بكل تفاصيله، بنت بسيطة من عائلة تخشى الله، ليس لها أصدقاء ولا معارف غير بيت أبيها وإخوتها، كل علاقتها بالمجتمع هو سور البيت وسور المدرسة وشباك الباص، كانت تظن أن الحياة قصيرة، اقتصرت حياتها على الصلاة والعبادة، لم تفكر في رغباتها المكبوتة حتى وجدته أمامها، ذلك الشاب كان مجدي في الخامسة والثلاثين من عمره، جرب حظة في الزواج مرة ولم يستمر أكثر من عام، أما الخطبة فله فيها مئات التجارب والعلاقات المحرمة بالآلاف وهو لا ينكر علاقاته المتعددة؛ فصراحته سر جاذبيته في بعض الأحيان. قابلها صدفة في إحدى المرات وهى في طريقها إلى المسجد وتتبعها حتى علم عنها كل شيء، تقرب منها بكل السبل فلم يفلح، حتى تعرف على بنت عمتها واعترف لها بإعجابه بها ورغبته في الزواج منها ولكن بشرط أن تعطيه فترة يتعرف كل منهما على الآخر؛ حتى لا تحسب عليهم ارتباطا أمام الناس، وبالفعل سمحت لنفسها أن تحدثه على الهاتف أياما وأسابيع حتى دق قلبها وفتنت بحبه واستلمت له، كلما تقرب منها كانت تذكر الله وتدعوه: إن كان خيرًا قربه لي، وإن كان شرًا ابعدني عنه، كان الخير كله يجري في عروقها حتى عرفت معنى

الاهتمام بأدق تفاصيل حياتها، كانت تهرب من النظر إلى المرآة حتى صارت تشاركها تفاصيل يومها؛ تلبس وتتهيأ للقاء، كل يوم تضع الأحمر والأخضر والأسود وتبرز ما خفى من محاسنها فتشعر أكثر بأنوثتها؛ فهي تريد أن يراها كاملة الحسن والجمال.
اليوم عيد ميلادها الثلاثون، فاقت من حلمها الجميل على صوت الهاتف واسم حبيبي، فتحت عينها وردت بصوت ناعم كالحرير الصباح، فغاصا في حوار ممتع بين العشاق، نسيت نفسها عندما طلب أن يلقاها اليوم في مكان خاص جدا؛ فقد بنج كل أطرافها وتخلل قلبها موجات دافئة من الحب والعشق سلبتها الإرادة عندما طلب منها الزواج، انتفضت من سريرها تتزين،

وتلبس أجمل الحلى، وتضع عطرها المميز الذي يعشقه.
نزلت كعادتها مسرعة لتجده في انتظارها خارج حدود المدينة لينطلقا إلى عش الحب الذي حكى لها عنه قبل اليوم آلاف المرات وحلمت أن تكون ملكته الوحيدة.
وطأة قدمها أرض البيت الصغير المصنوع من الخوص، والجدران من الطين، يطل على أجمل مكان علي ضفاف النيل، نسيت نفسها وانطلقت عصفورة صغيرة خرجت من قفصها لأول مرة في أحضان الصياد، ارتمت في أحضانه ترتشف المتع جرعات تخدر أعضاءها وتفقدها اتزانها، حتى رفرفت على أرض الغرفة قاطعة النفس.

الرقصة الأخيرة

في ليلة شديدة الظلمة غاب فيها وجه القمر، كنت أقود سيارتي مسرعة متجهة إلى أي مكان؛ فقد ضاقت بي الدنيا، وجدت الغدر مرسوما على حائط البيت الذي يضمني منذ أعوام، قررت الهرب بعيدا عن هذا الاختناق، وإذا بها تصدم بالسيارة وهي تخرج مهرولة من بعض الطرقات.

نزلت من السيارة مسرعة لأجدها أمامي مهملة المنظر في عز شبابها، آثار الرفاهية تشير إليها مع تمزق ملابسها البالية، ولكن نحن الإناث نعرف أن نقيم مثيلاتنا جيدا. سحبتها من يدها بعد أن ساعدتها على الوقوف، وجلسنا على جانب الطريق؛ فأنا شغوفة أن أعرف قصتها وهي كأنها كانت تنتظر ذلك اليوم كي تزيح عن قلبها هم البلاء في شوارع العاصمة الكبيرة ومسارعة الذئاب.

جلست أمامي تسرد قصتها بدموع منهمرة وبدأت بكلمة صعقتني وآلمتها، قالت: لم أكن أتوقع أن أصبح قضية رأي عام في يوم من الأيام؟

فنظرت إليها باستنكار: لماذا وضعت نفسك في هذا الموقف، ولكن لم ينطق لساني؛ فكفاها ما هي فيه من ألم.

الكل يوجهه لها أصابع الاتهام ويقول لها: أنت السبب دون شفقة أو رحمة.

طلبت منها أن تهدأ وتمسك دموعها، تسرد لي ما حدث بالتفصيل؛ عسى أن أجد لها مخرجا مما هي فيه.

تجرعت شربة ماء وبدأت تروي ما حدث بحسرة: كنت فتاة مستهترة بكل معاني الكلمة؛ أحب نظرات الإعجاب وكلمات الإطراء من كل شاب، فقد وهبني الله جسما فتانا ممشوقا ووجها يرغبه الجميع وروح مرحة تذوب في المجتمع دون قيود، نعم هذه أنا، كنت ضائعة بين الجميع ولا أعرف ماذا أريد...؟

المال أم الجمال أم الأناقة أم التعليم أم السلطة؟ كل ما أتمناه يصبح بين يدي في الحال، ولو استعصى عليّ أحد رغبته بجنون، بل لا أنام الليل حتى أصل إليه ويصبح كخاتم تحركه أصابعي كيف أشاء.

اتسعت عيني وأنا أستمع إليها، فلاحقتني بكلماتها: لا تستغربي، لو تعلمين ظروف حياتي لعذرتني؛ توفت أمي من أعوام وأنا في الثانوية العامة وتزوج أبي أخرى قبل الأربعين بأيام، فلم يلحظ أحد حزني ولا فرحي سوى ابن الجيران الذي كنت أخرج معه خلسة من خلف أبي الذي كان مشغولا بعروسه الجديدة، ولم يتنبه على غيابي عن البيت لساعات أو في بعض الليالي بحجة أنني عند بنت عمتي، وهنا بدأت حياتي، شاهدني ابن الجيران وأنا أقف مع صديقه المقرب فضربني في الشارع وعلّمت أصابع يده على وجهي، فلم يلاحظ أحد إلا زوجة أبي التي ابتزتني لأعوام أخدمها هي وبناتها دون تذمر أو استياء.

ومرت الأيام وجاء الفرار، حيث التحقت بكلية الآداب بالمحافظة المجاورة وأقنعت أبي أن ألتحق بالمدينة الجامعية، فكانت علاقتي بهم زيارة كل شهر لتوفير المصروفات فقط.

تعرفت على شاب جديد أبهر نني شياكته وسيارته الفارهة، لم يأخذ في يدي أسبوع حتى صرت له كل شيء؛ نتحدث طيلة الليل بالساعات ونتجول بالسيارة بالنهار، ولكن كان له عقل خاص؛ فهو شديد التملك والتسلط وأنا لا أحب التقيد، فكثرت تساؤلاته وتحكماته وكلما تجادلت معه أفاجأ بصفعة على وجهى في الحال وأضحك بصوت عال؛ فأنا احب هذه النوعية من الرجال، ولكنه تمادى في أفعاله معي حتى صارت أصابعي تغرز في ظهره كلما اقتربنا أكثر وأكثر وعلامات متفرقة في جسدي لا يراها أحد سواي؛ فعقب كل لقاء أئن من جسدي بالأيام ثم أحبو أليه مرة أخرى دون تفكير، فقد سيطر على كل حياتي وجسدي سيطرة كلية.

ذات يوم ركبت معه السيارة وفي الطريق مسك هاتفي فوجد مكالمة فيديو عبر الماسينجر، فنهرني وشد سلك الشاحن وانهال على وجهي بالضرب، فعلى صوتي بالصراخ والبكاء، ولكن لم يرحمني، فتحت باب السيارة كي أقفز منها، لحقنى وأكمل عليّ، ثم بعد أن هدأ أخذني في أحضانه وطبطب علي وقال: أنت لي وحدي، إياك أن تفكري في الخيانة أو الرحيل.

بدأ القلق يساورني، فقلت له: أنا أكرهك اتركني وحالي هنا.

تحول وجهه مرة أخرى إلى ما كان عليه، فارتميت في حضنه وضحكت وقلت: كنت أداعبك.

مر اليوم بسلام، ولكنني حاولت كثيرا الرحيل أو التخلص منه، فكلما تحدثت مع إحدى زميلاتي نهرتني وحذرتني منه، ولكن ما باليد حيلة؛ فأنا ماسورة به.

ولكنه هذه المرة قد زاد وفاض في ممارساته المجنونة حتى فاض كيلي ولزم عليّ التصرف بحيلة مناسبة؛ فقد فقدت كل شيء في لحظة طيش منه ومني، ولكنه لم يعترف بها؛ فقد وجدني سهلة وضعيفة معه وليس لي ما يحميني، بالفعل عندما واجهته تحول إلى شخص آخر؛ بدأ يتجاهلني ويتجاهل اتصالي ودائما مشغول. وكان اليوم الموعود حين زارتني بنت خالي وحكت لي بحسن نية عن علاقتها بشاب وأنه يلح عليها في المقابلة بحجة أنه يريد الارتباط بها، وعندما شاهدت صورته بين يديها على هاتفها المحمول، لطمت وجهي حتى فقدت وعيي، وعندما فقت ذهبت إليه إلى عمله، فطلب منى أن أنتظره بالخارج حتى يستأذن ويرافقني، ذهبنا إلى مكاننا المعتاد وأعددت له وجبته الأخيرة وأنا أرقص له على أنغام أغنيته المحببة. وتحدث العالم عن امرأة متوحشة تقتل عشيقها والكل يطالب بإعدامي.

المستبدة

قررت أن تجعل منه أضحوكة هذا العالم بعد أن كسر قلب رفيقتها، جلست مع صديقة قديمة لها في إحدى الأماكن العامة تثرثر معها حول شخصية هذا الشاب الذي يتحرك بين الجميلات في النادي بمنتهى السلاسة وكل ليلة وأخرى يدخل عليهم ويده معلقه بجميلة وبعد أيام يتركها ويذهب إلى غيرها دون مراعاة لمشاعر أحد.

كثر الكلام هذه الأيام عن علاقته مع سعاد التي استمرت شهورا، الجميع اعتقد أنه قد تاب عن اللعب بمشاعر البنات، ولكن بعد فتره تركته هي قبل أن يتركها، فضحك منه الجميع فقد شرب من ذات الكأس الذي يسقيه لهم، ولكن لم يستغرق الوقت كثيرا حتى انتقم منها أشد انتقام وتقرب إلى أختها في غيابها، بل مارس معها كل طرق الحب والتعذيب، فكانت كالخاتم في إصبعه؛ ردة على صفعة أختها. وما زلنا نسمع الحكايات، ولكن اليوم الموقف اختلف كثيرا؛ فقد بدأ يرمي شباكه عليها وهي ليست كباقي النساء؛ لذلك فكرت أن تلقنه درسا وتحركه حول إصبعها الصغير خاتما صفيحا لا قيمة له، فاختفت أياما عن النادي تجمع ما تقدر عليه من أخباره من بعض ضحاياه، تسمع لهذه وتلك وهو يحضر إلى مكانه المعتاد كل يوم يبحث عنها ويحضر لها طعاما لذيذا عسى أن يكون مفيدا في موقفه فتلتهمه كالسابقات.

أصبحا خصمين دون أن يدركا، وبالفعل جهزت أدواتها وتألقت كعادتها، دخلت عليه النادي فلفتت نظر الجميع، جلست بمفردها تحتسى فنجان قهوتها وهو يراقبها من بعيد، وبعد فترة ليست بالقصيرة تحرك إليها يسألها عن غيابها، فرفعت عينيها ترد عليه، فوقع ما كان يخشاه، هي تتكلم وهو يسمع وعينه معلقة بين رموش عينها ومضي على وعد بتكرار السؤال.

في اليوم التالي سبقها إلى مكانها وجلس ينتظر بالساعات، وعندما حضرت ناداها أن تجلس معه، فاعتذرت وجلست بعيدة وحيدة، ولكنه ظل يراقبها من بعيد وعينه لم تغفل عنها لحظة، فوجد معها شابا صغيرا في السن يكلمها وتضحك وهو يغلي كالقدر على النار.

ذهبت مع الآخر وهو يضرب أخماسا في أسداس، وكان عادل صديقه يتابع المشهد من بعيد، فضحك وهو يقترب منه ويقول له: لا تشغل بالك بها فكر في غيرها.

صمت والغيظ يأكله، فسكت عادل وقال له: هل وقعت في حبها؟

فرد في نفسه: هل يقع الصياد في عشق الضحية؟

ولم يحرك شفتيه.

ترك المكان مسرعاً لا يعرف إلى أين؟ ظلت تشغل باله ليل نهار؛ فلم يقابل مثلها من قبل بكل هذه القوة والثبات، وأخذ

الموضوع على صدره حتى ضاق به وقرر أن يفعل المستحيل حتى يقربها منه؛ فأصبح لها كظلها بعد أن حدث أقرب صديقة لها وتقرب منها كي تحل تلك العقدة وصارحها بحبه لها وهي الأخرى تقوم بدور الوسيط.

ذهبت إليها تحدثها كي تتم دورها وهي شريكة لها في خطتها، فظلوا يتسامرون ويضحكون على فعله، فنصحتها صديقتها وقالت: حان دور التقرب بحذر شديد.

هنا كانت المفاجأة حين ردت عليها: "أريده أن يطرق الباب ويطلب يدي من أبي حتى يعلم بأن هناك في هذه الدنيا شرفاء".

توأم روح

محمود شاب من عائلة ميسورة الحال يعرف الله في كل وقت، خريج كلية شريعة وقانون، تعلق قلبه بزميلته صفاء فالف الله بين قلوبهم وربطهم برباط الحلال.

تزوج من حبيبة عمره صفاء بنت الثالثة والعشرين، آية في الجمال، نضجت تحت عينيه، مثال للأدب والأخلاق، بنى لها بيت الزوجية في بيت العائلة فتفنن في إظهار جماله ووضع لمساتها التي تحبها في كل ركن من أركان البيت.

مر عليهم عام كامل من السعادة كأنه أيام، حتى تزوج أخوه الأصغر وحملت زوجته، بدأت أمه تزن عليه أن يكشف على زوجته ليعرف سبب تأخر الحمل، وبعد إصرار من الأم ذهب الى طبيب النساء والتوليد حتى يطمئن عليها فكان الخبر السار أنها سليمة ومعافاة ولا شيء يمنعها من الإنجاب، وعندما أخبر أمه لم تهدأ، فذهب هو الآخر إلى طبيبة وعمل الكثير من الفحوصات والتحاليل، ولم يكن هناك ما يمنعه من الإنجاب، ولكنها لم تهدأ؛ أخذت تلح عليه ليل نهار أن يتزوج بأخرى، أما هو فقد سلم أمره لله وعاش مع حبيبته في سعادة وهدوء ما عدا منغصات أمه اليومية لمدة خمسة أعوام، وفي لحظة أخذ قراره بأن يترك بيت العائلة ليسكن في عيشة هنيئة مع من اختارها قلبه وليجنبها الضغط

النفسي الذي تمارسه الأم عليها بين الحين والآخر، وخرج إلى بيت بالإيجار ومرت الأعوام العشر بهدوء وسلام.

وفي يوم من الأيام أثناء تجهيزها طعام الإفطار داخت حبيبته وأغشي عليها، وعند استدعاء الطبيب كانت الفرحة التي انتظرها كثيرا؛ إنها حامل في شهورها الأولى، فعقد العزم أن يعود إلى بيت العائلة حتى يوفر مصاريف الولادة لابنه ولي العهد المنتظر، ورجع إلى حيث بدأ وفي يده حلم عمره وحبه الذي لم يتخل عنه للحظات.

ولكن أمه لم تتغير وجاءت فرصتها بعد الميلاد، حيث وهبه الله بطفل آية في الجمال شديد البياض أشقر الشعر بعيون زرقاء سماه "جمال" وبعد السبوع أخذته أمه على جنب بعيد عن زوجته وقالت له: الناس أكلت وشي، بيقولوا محمود جاب ده منين؟ وبدأت تشككه في علاقته بابنه وتطلب منه تطليقها.

حمل همه على أكتافه وخرج من بيت العائلة ليعود إلى الإيجار؛ حتى لا يجرح مشاعر زوجته العفيفة.

القرينة

شلال الدماء يسيل على جسدي دافئًا بعد ذبح الحمامة البيضاء، وطلبت منى أن أغمس جسدي كله بالدماء، إنها صلحه لقرينتي التي تغضب منى كلما حمل رحمي منه نطفة صغيرة، وإذا بلغت الأربعين يومًا جاءتني في المنام بصورة تلك القبيحة تدق عظامي بالعصا حتى أفيق على دماء تتدفق كالشلال من رحمي ومعها هذا البريء.

حاولت مرارا أن أفهم ماذا يحدث معي ولم كل هذا العناء كلما شعرت بشيء غريب في أحشائي.

نظرت إلى عمتي وهي تشير إلى أمي وتقول لها: لازم صلح مع قرينتها، فسألتها مستفسرة: كيف؟

فقالت سوف نأتي بطير أبيض اللون ليس به علامة ونذبحه وادهن جسدي بدمائه ثم نطبخه ويقرأ عليه الشيخ محمد ربع قرآن ثم يأكله هنا، قفز خالي من غفلته وقال: أنا أجيد قراءة القرآن وسوف آكل الحمامة وحدي.

ضحكنا، وأكملت عمتي كلامها لكن بشرط ألا تمضغ منها عظمة أو تكسرها.

وقالت: في تلك الليلة لا بد أن أنام في غرفتي وحدي وأشعل الشموع وأرص أكواب الماء واللبن وبعض حبات

الشوكولاتة، فزعت باعتراض أني لا أجرؤ أن أنام وحدي؛ فقد تأتي القرينة وتقتلني. فضحكوا على كلامي، وقالت: لا بد من ذلك حتى يثبت لك حمل.

طبخنا الحمامة وأكلها خالي بعد أن قرأ ربع القرآن، جمعنا العظام ودفناها بجوار المنزل، وحان دوري ومع إصرار منى على أن ينام معي أحد في الغرفة قررت بنت عمتي المجازفة النوم معي في تلك الليلة. هل الليل وأغلقنا النور وحاولنا جاهدين أن ننام ولكنني لم أستطع، فصرت أفتح عينا وأغلق الأخرى كالثعالب حتى رأيت ما رأيت؛ تصاعدت قطرات الماء في الأكواب، المياه الغازية واللبن. وبنت عمتي غاصت في نوم عميق وإذا بكل الشموع يتحد ضوؤها وينكسر على الأرض ثم يستقيم على الدولاب، شاهدت الدولاب يميل نحوي، فتمتمت بعض آيات القرآن حتى هل الصباح لأصحو على صوت بنت عمتي تبكي من شدة الألم وتقول: إنها قد ضربت وهي في سريري تحميني. لم يشغلني بكاؤها قدر ما شغلني اختفاء الماء من الصينية واللبن.

وقفت بجوار العروس وتحاول بين الحين والآخر أن تلمس أصابع يده، تتوسل إليه بنظرات تكاد تفضحها أن يعلق يدها بيده وترتمي في أحضانه، يطوف بها المسرح بدلا منها؛ فهو حبها الأول والأخير.

حاولت أن تسيطر على نفسها، فسرحت بخيالها تلبس الأبيض وتتراقص معه على أنغام الموسيقى والجميع سعداء من حولهم، فاقت على كابوس كلماته الأخيرة لها: أنت أختي، لا أشعر بك إلا أختا؛ فأنا أحب شيماء وسوف أرتبط بها. بكت بحرقة أمامه لم تحرق قلبه كحبيب، ربت على كتفها وقال لها: سوف أكون لك أقرب أخ وأعز صديق. حاولت جاهدة أن تفرق بينهما، ولكن منعها القسمة والنصيب واليوم هي التي تقف بجواره وقت زفافه على أخرى وقلبها ممزق.

نزلت قطرة ماء من عينها لاحظتها سلمى فجذبتها من يدها ودخلت بها إلى دورة مياه بالقاعة وحضنتها بقوة وقالت لها: ارضي بقضاء الله وأخفي ما بقلبك؛ حتى لا تشمتي بك الناس. خرجا معًا على اتفاق أن يرقصا رقصة الفرحة لحسام أمام كوشة فرحه على شيماء.

دهش بها وهي تتمايل كغصن بان جميل وكل أحاسيسها تدفعه إلى عناقها؛ فهو أكثر شخص في هذه القاعة يعرف مدى العناء والألم الذي تحاول أن تخفيه، دهش الجميع وانتهى الفرح وذهب كل إلى بيته، وظلت هي تجلس مكان العروس تنتظره حتى يعود.

همس الجواري

ذهبت إلى سريرها كعادتها مبكرًا وهو لا يزال في العمل؛ فهذا الأسبوع عنده وردية عمل ليلية، عصام حب عمرها وأخوها وأبوها وكل ما تملك من هذا العالم بعد رحيل الأب، لم اكتفت به وأمها العجوز التي تقطن معها في نفس الشقة ترعاها ليل نهار. كان عصام في بادئ الأمر يتذمر من انشغالها بها، ولكن مع الوقت تعود وجودها وأوقاتها معها أصبح حتما؛ فالمرأة عجوز قعيدة ليس لها طلبات غير الأكل والشرب والعلاج وقضاء حاجاتها، أمور قد تكون بسيطة في السر ولكن تهد الحيل في التنفيذ، فما بال لو الزوج يلاحظ ذلك يوم إجازته، وكلما طلب أن تجلس معه تلاطفه، انقطع عليهم الوقت بنداء عال بتلبية أحد رغبات أمها العجوز. نست نفسها وهو مع الوقت نسي أنها موجودة.

اليوم عيد زواجهم الثالث، لبست قميصا ورديا يحبه وتزينت وتوسلت رب العباد أن يلاحظ وجودها هذه الليلة وألا يحدث أمر طارئ.

الساعة تدق الواحدة وهي تقلب جنيها يمينا ويسارا ولم يحضر؛ فساعات عمله تنتهي في تمام الحادية عشر، ثقل دماغها بالنوم قليلا لتفيق على همس بجوارها يتحدث ولا أحد يجيب عليه، ظنت أنه يكلمها، انتظرت أن تطرق يده

جسدها النص عاري أو يشد قميصها الوردي، ولكنها انتظرت طويلا وهي تسمعه يتغزل في أخرى بكلام ناعم ويتخطى كل الحدود، سقطت دمعة من عينها لتبلل وسادتها في سكون تام وعقلها مشغول وقلبها تاجه النار، وقبل أن تأخذ قرارا بالمواجهة تسمع صوتا يناديها من بعيد.

أصابع الاتهام

فقدت عقدها الذهبي في بيت زوجها الكبير الذي يضم من الإخوة أربعة كل يسكن في جناحه الخاص مع زوجته وأولاده، كتمت الأمر في نفسها ولم تخبر أحدا؛ إنهم لا يطيقون لها كلمة، فما بال لو اتهمتهم في هذه السرقة، سينهالون عليها بكل ما هو مباح وتخسر كل شيء. فكرت في نفسها كثيرا، حتى زوجها صالح لن تخبره؛ فرأيه لن يفيد؛ دائما مستسلم لهم ولا يرى منهم الغيبة وإن رآها بعينه لا يعاتب عليها، فهو متسامح حتى في حق أولاده الأربعة، ترمي له أمه ما يفيض من إخوته فيفرح بعطاياها القليلة ويشكر الله ويطلب منه دوام النعمة. أما الأرض والأملاك ورؤوس الأبقار فهي في يد الكبير لا يجرؤ أحد على محاسبته في شيء، يأتي عليه الصباح والسريحة يقفون بالحمير والسطل الكبير لجمع اللبن الطازج من أجران الفلاحين، ويصطفون أمامه بالساعات حتى ينتهي من جمع اليومية وتسليمها لهم، الخير وفير ولا نطول منه إلا عدد أكواب من الحليب بعددنا.

فكرت في نفسها وذهبت إلى السوق وجلبت منه نفس العقد من القشرة، وانتظرت جميع من في الدار في المساء وهم ملتفون حول التلفاز كعادتهم يشاهدون مسلسل حصاد السنين، وخرجت عليهم به يطوق عنقها ومسدول عليه بعض

خصلات من شعرها الناعم، تختلس النظر من تحت تلك الطرحة الشفافة التي تحدد وجهها الجميل، ونظرت أهليهم جميعا وهي مبتسمة لتلاحظ شهقة كبيرة تخرج من صدر عديلة زوجة الصغير، فأطالت في بسمتها وتحركت بالقرب منها فشعرت برجفتها ومسكت يدها بلطف تطلب منها أن تساعدها في عمل أكواب الشاي، فلم تتردد في القيام. خرجت في ذيلها، وما إن دخلتا المطبخ حتى هجمت عليها وسألتها عن العقد، فترددت قليلا، فهددتها أن تكشف أمرها للجميع إن لم تظهره في الحال، ولكنها تجمدت عروقها عندما لاحظت طيف الكبير خلف الباب، فأومأت برأسها وأشارت بعينها إلى زوجته.

بهاق

بعد أن خلعت ملابسها أمام المرآة أخدت تتحسس بيدها علامات بيضاء علت جلدها ونقشت عليه نقوشا من نوع خاص بطابع السنين الطويلة التي عاشتها معه وذاقت من المر كاسات، تذكرت أول علامة ظهرت وهو ينهرها كالموبوءة ويعايرها بها كلما ضاقت بها الحياة أو تذمرت من أمور كثيرة فرضت عليها على مر الزمان، لم يبخل عليها في الكشف والعلاج، ولكن لم تستجب تلك النقوش لعلاجات الأطباء؛ فهي محفورة من الداخل وتجري في الدم والأعصاب ويطلب منها الطبيب ألا تحمل للدنيا أعباء، وكيف هذا وهي الخادمة المطيعة في حجر الملك المدلل؟! لو طلب لبن العصفور تعده له، ولو طلب الريموت وهو يتكئ على مخدعه تجري من أخر الدار كي تحرك القناة بيدها، والماء والعصير والفطار على السرير، والعشاء قبل المضاجعة، وفي نهاية المطاف يرفسها بقدمه كالمنبوذة لو تدخلت في شئونه. سعاد ليست أي ست عادية؛ هي الجميلة الملعونة الملكة والجارية.

الكل يحسدها على حالها رغم ما تعانيه صابرة ولا يعلم عن أمورها أحد، ظلت كذلك في نظر الجميع حتى ظهرت تلك البقعة البيضاء على وجهها والكل يسألها عن سببها ويشور

عليها بالأطباء والعلاج واللبيخات، وهي تبتسم في هدوء وتسلم أمرها لله.

سمراء

سمراء تلك البنت الفاتنة الجمال ذات اللون الخمري الغامق والعينين العسليتين الفاتحتي اللون ترى فيهم نور الشمس في يوم مشرق في نهار شتاء، وضحكاتها نسمات هادئة على شاطئ بحر هادئ الأمواج، أما الجسد فقد نحت من عاج. لم يشاهدها أحد إلا وأعجب بجمالها وخفة ظلها، لم تخف شعرها يومًا بغطاء، فشعرها الأسمر مسدل خلف ظهرها كسلاسل من حرير يتدفق خلفها كشلال. تقدم لخطبتها الكثير ولكن دلالها على الخطاب جعلها تتجاوز الخامسة والعشرين، ومع ذلك لم تفقد الأمل في وجود فارس أحلامها؛ فمن كثرة مشاهدتها للمسلسلات التركية والهندية عشقت روح الرومانسية ونبذت الحي بما فيه من رجال كل همهم العمل والأكل والنوم وفي الغالب يظهرون بالوجاهة ليلة الخميس، ولم يكن كلامها ذلك من فراغ وكل محادثتها مع نساء الحارة حول هذه الأمور، فتسمع عن ليلة الخميس حكايات وروايات وفضائح وروايات، فوراء الأبواب المغلقة آلاف الروايات.

اليوم جلست مع سناء زوجة المعلم سعد القهوجي وتجاذبا أطراف الحديث الذي لا يخلو من الضحك على مواقفهم معا ومواقف الزبائن في المقهى وإصراره على كشف الغموض وراء تغير مزاج بعض الزبائن؛ فهو يهوى سماع تلك

الأحاديث الشيقة والمضحكة في الغالب، فلان طلق فلانة، وغيرها. انتهى الحديث بينهما على اتفاق بالذهاب إلى السوق الكبير في أطراف البلدة يوم الخميس القادم.

في صباح الخميس وصلت سناء مبكرا تطرق بابها وتنادي عليها لتخرج لها في أبهى منظر لها لتتمايل بالكعب العالي كأغصان يداعبها الهواء بنسيم ناعم، وبينما هي معجبة بنفسها ونظرة الجميع لها بالإعجاب انكسر كعب حذائها لتسقط في الأرض ويتمزق ثوبها الأزرق أمام دكان عبده الفاكهاني، فتزعق سناء وتقول: الله أكبر عليك يا ست البنات وإذا بها تلملم نفسها لتقف، إذا بشاب يرمي عليها جاكيت بذلته، فترفع عينها على شاب وسيم غريب عن الحارة يمد يده إليها ليساعدها على النهوض.

في مفترق طريق

بيت صغير في أطراف القرية من الطوب اللبني يجاوره شجرة كارفور معمرة من عقود كثيرة تعلوها أعشاش العصافير واليمام والبلابل.

فتحت نافذة غرفتها بالدور الثاني في صباح مشمس، رمقت بعينها من بعيد عبد الرحمن يركب حماره الضعيف ويذهب إلى حقلة كعادته كل صباح، يستمع إلى جهاز الراديو الصغير الذي لا يفارق خرج حماره.

ها هي صبرة تنتظره على أطراف الحقل لتساعده في حصاد القمح؛ فقد آن حصاده، واتفق مع عبد الجواد أن يشتري كل المحصول كما أخبرتها صبرة وهي فرحة؛ لأن عبد الرحمن وعدها بحلق من الذهب كبير؛ كيدا في سلفتها بسيمة بنت الخباز، تنهدت وألقت بجسدها على حافة الشباك ورأسها يتوسط كفيها، وصدرها مدلى من الشباك ورقبتها ممتدة ترمق المارين من بعيد. مر عليها صادق وهى بهذا الشكل، فنظرها نظرة غضب ولفت انتباهها أن تغلق الشباك، فزعت منه وقلبها يرفرف من الفرح كلما نظرته وشعرت بغيرته وحبه لها، أغلقت الشباك في الحال ونزلت إلى باحة البيت تعد الفطار لأبيها الشيخ الكبير وتجهز أغراضها لتذهب إلى سوق القرية، وتلحق بصادق في دكان عم أنيس البقال الذى

يعمل به و تشتري منه بعض أغراض المنزل وتتجاذب معه أطراف الحديث والنظرات، وفي طريقها قابلت محمد ابن أخيها وهو في طريقة إلى المدرسة فتعلق بيدها كي توصله وتشتري له بعض الحلوى من دكان عم أنيس الذى يبعد عن المدرسة بخطوات، وفي أثناء الطريق لفت انتباها شاب وشابة في أحد زقاق الحارة، كادت أن تصرف نظرها لولا لون قميص الشاب الذي يشبه ما لبسه صادق اليوم، تركت يد محمد مسرعة واقتربت منهم دون أن يلاحظوها، وكلما اقتربت بقدمها خطوة تسارعت دقات قلبها مسافات حتى ميزت صوته وهو يهدئها ويوعدها بالبقاء بجوارها، فارتمت الأخرى في أحضانه، وفي هذه اللحظة وقف الزمن وتسمرت مكانها، ومحمد ابن أخيها ينادي بأعلى صوته تأخرت عن المدرسة يا عمتي سهير.

السقف

جلست أمام الست إحسان الخياطة تسرد لها تفاصيل يومها الشاق مع زوجات أبنائها الأربعة: الابن الأكبر تابع لزوجته وبناته الكبار اللاتي مر بهم العمر وما زالت الزوجة مرتبطة ببيت أهلها وكل شغلها الشاغل جهاز بناتها الذى لن ينتهى ما دمن في المنزل، وإذا مر على أمه في غرفتها تحت السلم مر سريعا؛ حتى يلحق زوجته، لم يكن ذلك طبعه بل تغير منذ أن ضحت بشقتها حتى يتزوج بها أخوهم الأصغر الذى تزوج من مها الدلوعة، لم تهتم بإعاقته قدر اهتمامها أنه سوف يلبي طلباتها التي تتباهى بها أمام أقاربها، فضحت الأم بالشقة حتى ترتاح من هم خدمته ويصبح في رعاية زوجته، وتنتظر بين الحين والآخر من يمر عليها. أما ثالثهما وهو أوسطهما، فزوجته من بنت خاله التي تلتزم بأمور الدين؛ فحديثها معهم بقال الله وقال الرسول، ومع ذلك لم يسلم البيت من المشاحنات والخلافات اليومية. وابنتها الوحيدة التي تزوجت خارج القرية ولا يسمح لها زوجها بالزيارة إلا قليلا، وإن حضرت لا تجد مكانا للمبيت هي وأولادها. وبينما هي تحكي إذا بإحسان تسمع صوتا عاليا يصدر من بعيد؛ فقد وضعت ماكينة الخياطة في بير السلم الواسع وهى تسكن في الدور الأول، ووضعت البيض في الماء حتى يسلق لتعد لأبنائها الخمسة وجبة ساخنة من البيض

والبطاطس المقلية والأرز الذى يزرعه زوجها علي، وبينما هي تسمع الصوت وتكذب نفسها، جال في خاطرها عتب على ابنها إسلام الذى تسعى إلى خطبته من عبير، وتعاتبه بصوت خافت في نفسها وتقول: بقى كده يا إسلام أهون عليك بعد ما فعلت لأجلك، وتذكر كفيتها على ماكينة الخياطة ليل نهار حتى تساعد ابنها الكبير في صب سقف شقته ومساعدتها له. وبينما الحاجة صبرية تكمل حديثها وبأن أبناءها الثلاثة المقيمون معها بالمنزل يصعدون السلم الذي تسكن تحته خفية وكل منشغل بحاله ولا أحد يسأل عنها، وتحكي عن أيام العز والدلال الذي كان يكرمها فيها زوجها بأبهى الملابس وأجمل الحلى الذهبية، تفكر أم إسلام وترد: فعلا أنت كنت ست الكل، كيف وصل بك الحال لهذا؟

والست صبرية تسرد وعيناها تختنق بالبكاء، وإذا بصوت انفجار آخر يصدر من بعيد، ولكن لم تبال أم إسلام حتى نبهتها الست صبرية وقالت لها: هل وضعت شيئا على النار؟ وبينما هي تصر عليها أن تكمل روايتها حتى تذكرت أمر البيض الذي وضعته على النار.

ففزت من مضجعها مسرعة إلى المطبخ لتجد كسرولة البيض فارغة وتنظر حولها باحثة عن البيض، وإذا به ملصق في سقف المطبخ، فتحمد الله على حالها وتضحك على حال الدنيا.

أعواد الثقاب

جلست على حافة الطاولة المستديرة في ركن المطبخ بجوار الثلاجة ترقب نار الموقد على قدر اللحم، والرائحة تفوح في كل مكان حولها، وهى شاردة بخلدها عن هذا العالم تفكر في أمرها وهي تمسك بين يديها أعواد الثقاب، ودت لو أحرقت به غابات الغل والحقد الشيطانية التي تنمو في هذا العالم، فبعض النفوس المريضة تحيط بها؛ زوج عمتها أخت زوجها هذا القصير الماكر الذى يسكن الشقة المجاورة التي ورثتها من أبيها ويبرها زوجها، فلم يبق له في الدنيا سوى تلك الأخت التي تصغره بسنوات، تزوجها طمعا في الشقة وكسب عطف أخيها؛ فهو ذو قلب حنون لا يطعم برا إلا وقد قسم منه قسمة لأخته سناء، ولكن ذلك القصير لا يقدر ذلك، بل يخرج عليهم خلسة من شق الثعبان، يغير وجهه وجلده كل لحظة ولحظة، وتصرفاته التي تثير الاشمئزاز في بعض الأحيان والبغض في أحيان أخرى، ودائما ما يجادل زوجته سناء بخصوصها هي وزوجها، بل ويسألها دائما عن سر اهتمامها الدائم بنفسها وزينتها وملبسها، وتحكي لها سناء هذه الأمور بغيظ شديد، فتضحك وتقول لها: أدلع نفسي شوية محدش واخد منها حاجة، فتغتاظ سناء؛ لأن يدها قصيرة وزوجها بخيل لا يقدر أن هذا الاعتناء يحتاج إلى بعض النفقات التي

تفوق مصروف البيت الذي يعطف عليها به بعد مرار، فتطلب منها ما تريده وهي لم تبخل عليها، ولكن اليوم لاحظ خروج عامل الصيانة من شقتها ووقف يرمقها بنظرات اتهام، ويلات من تأثيره على عقل زوجها ووسوسته لزوجته ومدي حبكته الروايات الكاذبة.

يطوف في خلدها ألف حكاية ورواية، ولم تجد مخرجا ولا مفرا من هذا الموقف. أشعلت الثقاب دون وعي حتى لسعت نارها إصبعها، فعادت إلى رشدها، أطفأتها في الحال وفكرت في حل سريع، غطت رأسها وهرولت على سلم المنزل لتجده في وجهها، فنظرته نظرة رضا وارتمت على كتفه، فانتشى وفرح في ذهول لتصفعه بيدها على وجهه بقوة حتى خرج من بالمنزل وهي تصرخ: ماذا تريد أن تفعل يا قليل الحياء؟! صرخ الجميع في وجهه وانهالوا عليه بغليظ الاتهامات وكل يسرد قصته معه وقلة أصله، وهي تبكي في انهيار تام كيف يحاول النيل من شرفها والتحرش بها ولم يحسب للقرابة أو النسب حسابا، فخرجت عمتها على صوتها هي ومن حولها، فلم ترحمه، بل بصقت في وجهه وقالت له: طول عمرك عينك ناقصة، هو أنا قصرت معاك في حاجة يا نصف متر يا قليل الأصل؟! خرس الرجل، فلم يعطه أحد فرصة للكلام، فكان بين حدي مقص.

قطعة صمت

وقفت تحدث جارتها كعادتها من فوق سطح المنزل؛ فلم يكن يفصل الدارين إلا متر فقط، تناولها الأشياء التي تريدها ويتجاذبا أطراف الحديث والحكايات عن أهل الشارع: فلانه زوجها وبخها بسبب سالفتها وفلانة ألقت ماء الغسيل في الشارع. حكايات سمعتها كثيرا وأنا العب بجوارهم على سطح المنزل، ولكن في بعض المرات وأنا ألعب سمعت من جارتنا كلمات قاسية توجهها لأمي واتهام حول نقل حديث ما، وعندما هممت أن أفتح فمي بالكلام ونظرت لأمي وهي مبتسمة نظرة يغلبها استنكار لموقفها وعدم ردها، أشارت لي بالسكوت والصمت وأن أبلع ريقي، هنا تذكرت قطعة سكر النبات التي تضعها أمي بيدها في فمي وتطلب منى أن كلما تسرعت بالرد وقت الغضب أن أبلع ريقي وينزل في جوفي طعمه اللذيذ.

تركنا جارتنا التي كنا نقاسمها الماء والطعام ونزلنا لباحة البيت ولم أصبر حتى تجيبني عن سؤالي: لماذا لم تردي عليها وتبرئي ذمتك من هذا الفعل؟

وإذا بجارتنا تدخل الباب مسرعة تتوسل أمي أن تستسمحها وألا تسيء فهمها؛ فقد نقلت لها ما سمعت دون تردد أو تفكير أن ذلك سوف يخسرها جارة عمرها.

هنا تذكرت قطعة السكر والنبات وبلعت ريقي لتبتسم أمي في وجهي، وتلف جارتنا زراعها حول عنقها بود واحترام.

غروب

كانت تجلس وحيدة على غير عادتها في بهو الغرفة الكبيرة في منزل العائلة، وإذا بشيء ينسلخ منها ويتصاعد أمامها كالدخان متجسدا أمامها في صورتها.

نظرت إليه باستسلام غريب وشبيهتها تشير إليها وتنادي إليها قائلة:

ها.... هل أنت هنا؟

أتسمعيني جيدا...؟

ها.... غروب.

لم ترد عليها ولم تبال، حاولت أن تهزها بلطف،

لم تشعر.

اخترقت صدرها، توغلت إلى قلبها، حاولت أن تحرك عضلته بقوة وهو يئن، يكاد أن يقف.

ولكنها لم تستلم حتى عاود التشغيل من جديد.

فافت ونظرت إلى العالم من حولها، وخرجت واقتربت من أذنها وهمست:

غروب هل أنت بخير...؟

فحركت رأسها يمينا ويسارا تبحث عن مصدر الصوت فلم ترى شيئا.

علقت عينها بصندوق صغير بين يديها وأخرجت خاتما به فصوص من الألماس، وفي قلبه فص كبير من الياقوت. تعمقت النظر به لحظات فخرج منه عصفور صغير حلق فوق جبينها وأخذ يغرد بصوت عذب، دندنة تشبه صوت أمها الراحلة من أعوام...

مسحت على قلبها واستمتعت باللحن العذب، فاقترب العصفور من أذنها وهمس: هل تسمعين؟

قالت: نعم.

قال: أخبريني ما بك؟

جاوبته بإصرار: أنا بخير دائماً.

فهرس

استجمام	5
فرح	7
عندما يكتمل القمر	10
أنا وهي	13
يوميات ميت	15
فتون	17
قرار صعب	19
هبة الله	21
الحرمان	24
المزرعة	26
أوراق الربيع	28

قبلة الوداع	30
إن فاتك الميري	32
الذبيحة	34
اللعين	35
عيد سعيد	37
السياط	39
ابتلاء	41
الرقصة الأخيرة	43
المستبدة	47
توأم الروح	50
القرينة	52
عناق روح	54
همس الجواري	56

أصابع الاتهام	58
بهاق	60
سمراء	62
في مفترق طرق	64
السقف	66
أعواد الثقاب	68
قطعة صمت	70
غروب	72

الكاتبة في سطور.

الاسم: فيفي فاروق نعمان محمد عوضين.

السن :44 عاما.

محل الميلاد: قرية كفر العرب، مدينة فار سكور، محافظة دمياط.

المؤهل: ليسانس آداب وتربية لغة عربية وتربية إسلامية.

حاصلة على دبلوم مهني إدارة مدرسية، ودبلوم خاص: أصول تربية وباحثة ماجستير في أصول التربية جامعة دمياط.

الوظيفة: معلم لغة عربية بمدرسة اللغات الرسمية الجديدة.

. مراجع خارجي تبع الهيئة القومية لضمان جودة التعليم.

. أعمل في مجال الصحافة لي اهتمام بالعمل الخدمي والإنساني والمشاركة في بعض أنشطة المحافظة الخاصة بالتعليم والثقافة.

. نشرت بعض الأعمال الأدبية في بعض الصحف الإلكترونية والورقية ولي مجموعة قصصية "ليه يا بنفسج؟!".

الهواية: القراءة وكتابة القصص والمقالات والمشاركة في الفعاليات الثقافية والندوات الأدبية والعلمية.